

فتبشر عباده الذين يستمعون القول
 فيتعنون أحسنه أو تلك الذين هداهم
 الله وأولئك هم أولو الألباب

المساجد

يقول الحكمة من بناء ومن يؤت
 الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما
 ينسى إلا أولو الألباب

١٣١٥

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوي و «مناراً» كمنار الطريق)

(مصر في يوم الاحد غرة جمادى الثانية سنة ١٣١٩ - ١٥ سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٠١)

الرجال والنساء

من أغوى الآخر في الشرق واوربا : اصلاح الاسلام للنساء : تنفي الاوربيات
 تعدد الزوجات : الاختلاط ومضرته : عاقبة الامر في اوربا والمسلمين

« الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما
 انفقوا من أموالهم » * « ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال
 عليهن درجة »

هذا ما قاله فاطر السموات والارض وما فيهن وشارع دين الفطرة
 ليبلغ به عباده الكمال ، من النساء والرجال ، وقد دل العلم وشهد التاريخ
 على ان ما ارشد اليه الكتاب العزيز من قيام الرجال وسيادتهم على النساء
 هو الحق الواقع والفطرة الصحيحة ولكن الرجال ظلموا وأساؤا في هذه
 الكفالة والسيادة فاستعبدوا النساء وأدوا البنات (دفنوهن احياء) ولولا
 حاجتهن اليهن لأفنوا النوع الانساني يا فئامهم وما وجدت شريعة ولا
 ديانة أنصفت النساء واعطت كلاً من الرجل والمرأة حقه الا ديانة الاسلام

الحققة وشريعته العادلة ولكن المسلمين مارعوها حق رعايتها فمنهم من وفى قوفاً اجروه وكثير منهم فاسقون

بين الله تعالى ان للمرأة على الرجل من الحقوق مثل الذى له عليها بالمعروف وانه لا يمتاز الا بالولاية ورياسة المنزل لان البيوت نموذج الامة فكما ان الامة لا ينتظم امرها الا برئيس عادل كذلك البيت (العائلة) لا بد له من رئيس له السيطرة والقيام بالشؤون العامة

ولما كان الاسلام مبنياً على قاعدتي الاستقلال بالفكر والاستقلال بالارادة وشريعته مبنية على المساواة والعدالة ومن مقتضى القاعدة الاولى ان يعرف الانسان الحق بدليله لتنبث اليه ارادته بنفسها لانه الحق النافع في علم صاحبها بين الله تعالى لنا بفضله المرجح لكون الرجل هو القيم على المرأة وهو تفضيله بنحو القوة والقدرة على الحماية والكسب وهذا مرجح فطري طبيعي وانفاقه المال في المهر وغيره وهذا مرجح اجتماعي عقلي والشريعة الاسلامية موافقة دائماً للفطرة الالهية ومطابقة للمصالح الاجتماعية ومؤيدة بالدلائل العقلية

عرف في سيرة البشر ان القوة تمتدي دائماً على الحق وتهضمه وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اعرف الناس بسنن الله تعالى في الناس ولهذا كان يكرر الوصية بالنساء والارقاء وهو في حالة النزع وسكرات الموت كما كان ينهى عن تعظيم قبره وقبور الانبياء والصالحاء لان ما يوصى به في هذه الحالة لا بد ان يعتني به متبهوه أشد الاعتناء لما للكلام حيثئذ من التأثير ولانه من المعلوم بالبداهة ان الانسان لا يهتم عند الموت الا باهم الامور . ولا شك انه عليه الصلاة

والسلام كان عالماً بأن اعظم فتنة تستقبل امته من طريق الاعتقاد والعبادة
تعظيم القبور والتماس المنافع ودفع المضار بواسطة الانبياء والصلحاء
واعظم فتنة تعرض لهم في شؤونهم الاجتماعية النساء بل ورد التصريح
بهذه الفتنة وكذلك كان في الامرين

انما كان النساء فتنة بترك الرجال مساواتهم بأنفسهم في الحقوق
الاجتماعية والادبية واهمال فريضة القيام عليهن فقد جعلت الشريعة لكل
امرأة قياً فأبوها وهو القيم الاول يتركها سدى تلعب بها الخرافات
والاوهام ، وينويها السفهاء والطغام ، ثم تصير الى القيم الثاني وهو الزوج
فيأكل مالها ان كان لها مال ، ولا يساويها بنفسه في حال من الاحوال ،
ولقد كان ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يقول : انى لأتزين لزوجي كما
تزين لى لقوله تعالى « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف » ثم اذا مات
زوجها وصارت الى قيم ثالث في آخر حياتها يكون مالها شر مآل ، ولو
كان هذا القيم ابنها الذى لم تحسن تربيته لانها هى واباه لم يكونا متربين ولا

مهذبين

هذا القيام للرجال على النساء قد خصته الشريعة بالامور الاجتماعية
فليس للمرأة حق ان تسافر الا مع ذى محرم واذا كانت متزوجة فلا بد
من اذن الزوج ورضاه ولو الى الحج . واعطت للمرأة الحق في التصرف
في مالها وليس للزوج ولا لغيره من القوام ان يأخذ من مالها داتقاً بغير
رضاه فتصرف المسلمون بأموال النساء وأكلوها اسرافاً بغير حق
وتركوا حبالهن على غواربهن فيما هو موكول اليهم فطفقن يسرحن
ويمرحن ويتبرجن تبرج الجاهلية الاولى وتركن الصلاة ومنعن الزكاة

وعصين الله ورسوله ثم عصين الأزواج والذنب في هذا كله على الرجال يشكو بعض الرجال في هذه البلاد من تهتك النساء وفساد أخلاقهن وما أفسدهن إلا الرجال فالمرأة بمقتضى الفطرة والطبيعة أقرب إلى الحياء والعفة وأبعد من المجون والخضوع للشهوة ولكن هؤلاء الرجال الظالمين الضالين المضلين هم الذين يعوونهم ثم يشكون منهم وينسبون اليهن كل غواية وفساد محتجين بقول المثل الفرنسي « انحثوا عن المرأة »

بمخنا وسألنا الباحثين فالتقينا الرجال في الأسواق والشوارع يتعرضون لمغازلة النساء ولا يذاهبن بالقول والفعل ووجدنا أكثرهن لا يلتفتن لأكثرهم . رأينا هذا ونحن نعلم أن الرجال أكثر علماء بأمور الدين وأمور الدنيا وأكثر شغلا وعملاً فما اغنى عنهم علمهم ولا أعمالهم فكيف يكون الحال لو كانت أفتدتهم هواء كأفتدة النساء ، فإن المرأة لا تتعلم شيئاً يشغل فكرها عن تدبير الحيل لإجابة داعي الطبيعة ولا تربي على ملكات فاضلة تقف بالقوى الحيوانية عند حدود الاعتدال وليس لها أعمال شاقة تصرف النفس عن هذه الدواعي وهي مع هذا كله أقرب من الرجل إلى العفة والنزاهة

لما تنبه أهل أوروبا إلى إصلاح شؤونهم الاجتماعية وترقية معيشتهم المدنية اعتنوا بتربية النساء وتعليمهن فكان لذلك أثر عظيم في ترفيتهم وتقدمهم ولكن المرأة لا تبلغ كمالها إلا بالتربية الإسلامية واعني بالاسلامية ما جاء به الإسلام لا ما عليه المسلمون اليوم ولا قبل اليوم بقرون فقد قلت آنفاً إنهم مارعوا تعاليم دينهم حتى رعياتها . ولهذا وجدت مع التربية الأوروبية

للنساء جرائم الفساد ونمت هذه الجرائم فتولدت منها الادواء الاجتماعية والامراض المدنية وقد ظهر اثرها بشدة في الدولة السابقة اليها وهي فرنسا فضعف نسلها وقلت مواردها قلة تهددها بالانقراض والذنب في ذلك على الرجال

حذر من مغبة هذه الامراض العقلاء ، وحذر من عواقبه الكتاب الاذكياء ، وصرح من يعرف شيئاً من الديانة الاسلامية ، بتبني الرجوع الى تعاليمها المرضية ، وفضائلها الحقيقية ، وصرحوا بان الرجل هو الذي اضل المرأة وافسد تربيتها وان بعض فضليات نساء الافرنج صرحت بتبني تعدد الزوجات لارجال الواحد ليكون لكل امرأة قيم وكفيل من الرجال جاء في جريدة (لاغوص ويكلي ركورد) في العدد الصادر في ٢٠ ابريل (نيسان) سنة ١٩٠١ نقلاً عن جريدة (لندن تروت) بقلم كاتبة فاضلة ما ترجمته ملخصاً :

لقد كثرت الشاردات من بناتنا وعم البلاء وقل الباحثون عن اسباب ذلك واذ كنت امرأة تراني انظر الى هاتيك البنات وقلبي يتقطع شفقة عليهن وحزناً وماذا عسى يفيدهن بثي وحزني وتوجمي وتفجمي وان شاركني فيه الناس جميعاً؟ لا فائدة الا في العمل بما يمنع هذه الحالة الرجسية ولله در العالم الفاضل (تومس) فانه رأى الداء ووصف له الدواء الكافل الشفاء وهو (الاباحة للرجل التزوج باكثر من واحدة) وبهذه الوسطة يزول البلاء لا محالة وتصبح بناتنا ربوات بيوت فالبلاء كل البلاء في اجبار الرجل الاوربي على الاكتفاء بامرأة واحدة . فهذا التجديد هو الذي جعل بناتنا شوارد وقذف بهن الى التماس اعمال الرجال ولا بد من

تفانم الشر اذا لم يبع للرجل التزوج باكثر من واحدة . اى ظن وحرص يحيط بمدد الرجال المتزوجين الذين لهم اولاد غير شرعيين اصبحوا كلاً وعالةً وعاراً على المجتمع الانساني فلو كان تعدد الزوجات مباحاً لما حاق بأولئك الاولاد وبامهاتهم ما هم فيه من العذاب المون ولنسلم عرضهن وعرض اولادهن فان مزاحمة المرأة للرجل ستحل بنا الدمار . الم تروا ان حال خلقها تنادى بان عليها ما ليس على الرجل وعليه ما ليس عليها وبإباحة تعدد الزوجات تصبح كل امرأة ربة بيت وأم اولاد شرعيين »

ونشرت الكاتبة الشهيرة (مس انى دود) مقالة مفيدة في جريدة (الاسترن ميل) في العدد الصادر منها في ١٠ مايو (ايار) سنة ١٩٠١ تقتطف منها ما يأتى

« لأن يشتغل بناتنا فى البيوت خوادم او كالحوادم خير واخف بلاء من اشتغالهن فى المعامل حيث تصبح البنت ملوثة بادران تذهب بروق حياتها الى الابد . ألا ليت بلادنا كبلاد المسلمين فيها الخشمة والعفاف والطهارة رداً الخادمة والرقيق يتعمان بارغد عيش ويماملان كما يعامل اولاد البيت ولا تمس الاعراض بسوء . نعم إنه لعارٌ على بلاد الانكيز ان تجعل بناتها مثلاً للذائل بكثرة مخالطة الرجال فما بالناسمى وراء ما يجعل البنت تعمل بما يوافق فطرتها الطبيعية من القيام فى البيت وترك اعمال الرجال للرجال سلامة لشرفها »

وقالت الكاتبة الشهيرة (اللادى كوك) بجريدة الأيكو مترجمته :

« ان الاختلاط يأنف الرجال ولهذا طمعت المرأة بما يخالف فطرتها وعلى قدر كثرة الاختلاط تكون كثرة اولاد الزنا وههنا البلاء العظيم على

المرأة فالرجل الذي علفت منه يتركها وشأنها تتقلب على مضجع الفاقة والعناء وتذوق صرارة الذل والمهانة والاضطهاد بل والموت ايضاً . اما الفاقة فلأن الحمل وثقله والوحم ودواره من موانع الكسب الذي تحصل به قوتها واما العناء فهو انها تصبح شريرة حائرة لا تدرى ماذا تصنع بنفسها واما الذل والعار فاني عار بعد هذا واما الموت فكثيراً ما تبغ المرأة نفسها بالانتحار وغيره

هذا والرجل لا يعلم به شيء من ذلك . وفوق هذا كله تكون المرأة هي المسؤولة وعليها التبعة مع ان عوامل الاختلاط كانت من الرجل « أما آن لنا ان نبحث عما يخفف - اذا لم نقل عما يزيل - هذه المصائب العائدة بالعار على المدينة الغربية ؟ أما آن لنا ان نتخذ طرقاً تمنع قتل الوف الالوف من الاطفال الذين لا ذنب لهم بل الذنب على الرجل الذي اغرى المرأة المحبولة على رقة القلب المقتضي تصديق ما يوسوس به الرجل من الوعود ويعنى به من الاماني حتى اذا قضى منها وطراً تركها وشأنها تقاسى المذاب الأليم

« يا أيها الوالدان لا يفرنكما بعض درهيمات تكسبها بناتكما باشتغالهن في المعامل ونحوها ومصيرهن الى ما ذكرنا . علموهن الابتعاد عن الرجال اخبروهن بمقابة الكيد الكامن لهن بالمرصاد . لقد دلنا الاحصاء على ان البلاء الناتج من حمل الزنا يعظم ويتفاقم حيث يكثر اختلاط النساء بالرجال . ألم تروا ان أكثر امهات اولاد الزنا من المشتغلات في المعامل والخدمات في البيوت وكثير من السيدات المرضيات للانظار . ولولا الاطباء الذين يعطون الادوية للإسقاط لرأينا اضعاف ما نرى الآن

لقد ادت بنا هذه الحال الى حد من الدناءة لم يكن تصورها في الامكان حتى اصبح رجال مقاطعات من بلادنا لا يقبلن البنت زوجة ما لم تكن مجربة اي عندها اولاد من الزنا يتفجع بشغلهم !!! وهذا غاية الهبوط بالمدينة فكم قاست هذه المرأة من مرارة هذه الحياة حتى قدرت على كفاتهم والذي علفت منه لا ينظر الى اولئك الاطفال ولا يتعهدهم بشيء . ويلاه من هذه الحالة التعميسة . تُرى من كان معيناً لها في الوحم ودواره ، والحمل واثقاله ، والوضع وآلامه ، والفصال ومرارته « اه

وحاصل القول ان الرجال هم الذين اغروا النساء وافسدوهن في جميع البلاد لانهم القوامون عليهن بمقتضى الفطرة فاما اهل اوربا فهم احياء يشعرون افرادهم بامراض شعوبهم واممهم فيصيحون ويتألمون وستفتك بهم ادواء المدنية حتى تضطروهم الى معرفة سائر اصول الدين الاسلامي وفروعه وهم الآن على كثير منها وهناك الكمال « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق » وهو الآن غير متبين لهم لما عليه من الحجب الكثيفة واكتفها المنتسبون الى هذا الدين وما هم عليه من التقاليد التي ليست منه بل هي مناقضة له . واما المسلمون فقد اصابهم خدر بطل معه ذلك الاحساس والشعور الكلي والنعرة المليية حتى كاد اليأس منهم يغلب على الرجاء فيهم لولا اننا نرى بعض الافراد ينهضون فيصيحون ويتألمون ويتوجهون ويتململون فاذا كثروا وقوي حزبهم فهم الذين يرثون الامة ذكرانا واناثا - يربون النفوس باداب دين الفطرة القويم ويأخذون من نتائج علوم المدنية الغربية وفنونها ما ثبتت منفعتها وامنت مضرته . وكل ما اخذ به المسلمون في مدارسهم من تعليم البنين والبنات فهو ناقص وفيه مضرات

كثيرة لأن زمامه ليس في أيدي علماء الدين ولن يكون في أيديهم إلا إذا
اتقنوا جميع ما يعلم في المدارس . ولكن العلم خير من الجهل على كل حال ،
وكل هذا ممد لما أعد لهذه الأمة في الاستقبال ، ونسأل الله التوفيقَ لحسن
الخاتمة والمآل

